الدرس العاشر: علاقة اللّفظ بالاستعمال: 1-الاشتقاق

تمهيد: إنّ لغة العرب-بل لغات سائر الأمم-حالها حال مستعمليها؛ كما يحافظون على بقائهم واستمراريتهم عن طريق التناسل والتكاثر تفعل لكن بطريقة لغوية، وكما يتزايد عدد أفرادهم يتزايد عدد ألفاظها، يُعِينُها في ذلك مجموعة من الخصائص أو الوسائل اللغوية، من بينها الاشتقاق.

1-تعريف الاشتقاق:

أ-لغة: ممّا قيل بإزّاء الاشتقاق في اللغة ما ذكره الرّازي(666ه) في قوله: «اشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه» وأضاف عليه ابن منظور(711ه): «اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل. واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا. واشتقاق الحرف من الخرف: أخذه منه» ممّا يبيّن أنّ الاشتقاق بمعنى الأخذ.

ب-اصطلاحا:

عرّفه السيوطي(911ه) بقوله: «الاشتقاقُ أخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليُدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذر». وعرّفه إبراهيم أنيس بأنّه «عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى»

كما قيل: «هو تحويل الأصل الواحد إلى صيغ مختلفة لتفيد مالم يُستفد بذلك الأصل»

أمّا صبحي الصّالح فيذهب إلى أنّه: «توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدّد مادّتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد»، مثال ذلك: فاهم ومفهوم وفهّيم واستفهم وغيرها من مشتقات فهم؛ ففي كلّ واحد منها دلالة الأصل الذي أخذ منه وهو فهم مع زيادة لأجلها اختلفا هيئة وتركيبا؛ ففاهم يحمل دلالة الفهم إضافة إلى اسم الفاعل منه؛ أي: من قام بالفعل، ومفهوم يحمل دلالة الأصل كذلك إضافة إلى من وقع عليه الفعل وهكذا.

2-أصل المشتقات:

إذا جئنا إلى أحقّ الصّيغ في أن تكون أصلا للاشتقاق فسنجد الآراء قد اختلفت في هذه القضية؛ إذ ذهب البصريون إلى أنّ أصل المشتقات هو المصدر، وخالفهم الكوفيون في ذلك؛ إذ ذهبوا إلى أنّ أصل المشتقات هو الفعل، واحتجّ كل فريق بما يدعم ما ذهب إليه من ذلك قول الكوفيين أنّ المصدر فرع عن الفعل؛ كونه يصِحّ لصحّته ويعتلّ لاعتلاله، من ذلك قاوَم قِواما، وقام قياما؛ صحّ المصدر لصحة الفعل في الأول، واعتلّ لاعتلاله في الثاني. كما قالوا أنّ المصدر يأتي تأكيدا للفعل، ورتبة المؤكِّد بعد المؤكَّد، كما أنّ المصدر لا يتصوّر معناه مالم يكن فعل فاعل. كانت هذه حجج الكوفيين، أمّا عن البصريين فاحتجّوا بأنّ المصدر يدلّ على زمان مطلق خلافا للفعل الذي يدلّ على زمان معيّن، فكان المطلق أصلا للمقيّد، من جهة ثانية فإنّ المصدر يدلّ على الحدث فقط في حين يدلّ الفعل على حدث مرتبط بزمان فكما كان الواحد أصلا للاثنين كان المصدر أصلا للفعل. إضافة إلى حجج أخرى يمكن التماسها في كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف"

هذا ويرى تمّام حسّان أنّ «الصعوبات تقوم فعلا دون الاقتناع برأي البصريين أو برأي الكوفيين على حدّ سواء فأمّا للردّ على البصريين...إنّ مذهبهم يقول إنّ كان الناقصة لا مصدر لها ومع ذلك يعتبرونها مشتقة. فما أصل اشتقاقها؟ وأمّا للردّ على الكوفيين فإنّ "يدع" و"يذر" في رأيهم لا ماضي لهما وهما مشتقّان على رغم ذلك فما أصل اشتقاقهما إذن؟

بالمقابل ظهر فريق ثالث يرى أنّ الأسماء وبالضبط أسماء الأعيان هي أصل المشتقات؛ ذلك أنّ المحسوسات أسبق إلى الإدراك من المجرّدات(المصادر) كما قال صبحي الصالح: «فمن ذا الذي يصدّق أنّ مصدر التّأبُّل (أي اتّخاذ الإبل) قد وُضع قبل أن يوضع لفظ الإبل نفسه» وهو كلام منطقي لولا كون شقّ اللغة أسماء أعيان وشقّها الآخر أسماء معان لا أعيان تحيل غليها في العلم الواقعي على غرار العدل والشجاعة والحرية وغيرها.

ومن الطريف أن نذكر ما قاله بعض من أنّ كلّ الكلم أصل، وما قاله غيرهم من أنّ كلّ الكلم مشتق. والصّواب ما نُسب إلى الخليل وسيبويه وأبي عمرو وغيرهم أنّ بعض الكلم أصل وبعضه مشتق، وأكّده ابن فارس(395ه) بقوله: «أجمع أهل اللغة -إلا من شذ عنهم-أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض... وَعَلَى هَذَا سائرُ كلام العَرَب، عَلم ذَلِكَ من عَلِم وجَهِلَه من جهل». والعرب تشتق من أسماء الأعيان كما من الأفعال لا مشاحة في ذلك.

3-أنواع الاشتقاق: ينقسم الاشتقاق إلى أنواع اختلف علماء اللغة في تسميتها، وتلك هي:

3-1 الاشتقاق الصغير أو العام: ويسمّي أيضا الصّرفي، وهو أن يتّحد المشتقّ والمشتق منه في ترتيب الحروف كأن تشتقّ من الفعل (فهم) مثلا صيغا أخرى مثل: فاهم، مفهوم، تفاهم... الخ، أي: أن تستخرج لفظا من آخر على أن يتّفقا مادة أصلية وترتيبا لحروفها، فيكون بينهما رابط دلالي هو دلالة الأصل المأخوذ منه مع زيادة في المشتقّ؛ إذ في كلّ من: فاهم ومفهوم وتفاهم ما في (فهم) من دلالة مع زيادة من قام بالفعل في (فاهم) ومن وقع عليه الفعل في (مفهوم) ومشاركة في الفعل في (تفاهَم).

3-**2الاشتقاق الأكبر:** وهو منسوب لابن جنّي(392ه) فهو من سمّاه كذلك حين قال: «هذا موضع لم يسمِّه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي -رحمه الله-كان يستعين به ويخلد إليه... وأمَّا الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنًى واحدًا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه» أي: إنّ المادة الواحدة يرتبط كل ما اشتُق منها ومن مقلوباها المختلفة في دلالة الأصل. ويمثل بعدد من الأمثلة من ذلك: "س م ل" " س ل م" " م س ل" " م ل س" " ل م س" " ل س م " فالمعنى الذي تشترك فيه: الإصحاب والملاينة، ومنها الثوب السمل وهو الخلق؛ فاليد إذا لمسته لم يستوقفها جدَّة المنسج ولا خشن الملمس، والسمَل: الماء القليل؛ كأنه شيء قد أخْلَق وضعف عن قوة المضطرب، ومنها السلام؛ وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه، ومنها "المَسْل"المَسَل والمَسِيل كله واحد، وذلك أن الماء

لا يجري إلّا في مذهب له، وإمام منقاد به، ومنه الملامسة؛ وذلك أنه لا بُدَّ هناك من حركات واعتمال. وأمّا "ل س م" فمهمل.

3-3 الاشتقاق الكبير: وقيل: «يقصد به انتزاع كلمة من أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الحروف الثابتة وفي مخارج الأحرف المغيّرة» وذلك هو الإبدال. وفي الحقيقة التغيير الذي يلحق الكلمة لم يُرو لنا منه في كتب العربية إلّا تغيير الصوت الواحد خلافا لما ورد في التعريف. ومن أمثلته: التهتان والتهتال، والهزّ والأز، والكشط والقشط، والحنك والحلك وغيرها.

3-4الاشتقاق الكبّار(النحت): وهو فيما عُرّف به «أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذّة تدلّ على ما كانت تدلّ عليه الجملة نفسها»أي: ليس كأنواع الاشتقاق الأخرى الذي يكون على مستوى الكلمة الواحدة. ومن أمثلته-للتوضيح-البسملة من قولنا باسم الله. وهو أربعة أنواع، وتلك هي:

أ-النحت الفعلي: وهو أن تنحت من الجملة فعلا يدلّ على النّطق بها أو على حدوث مضمونها، مثال ذلك: بسم وجعفل؛ فالأولى من قولك: باسم الله الرحمان الرحيم، والثانية من قولك: جعلت فداءك.

ب-النحت الاسمي: وهو أن تنحت من كلمتين اسما، مثل: "جُلْمود" من "جَمَد" و "جلَدَ" و " حَبْقُر" من "حبٌّ" و "قُرّ" وهو البَرَد.

ج-النحت الوصفي: وهو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدلّ على المعنى منهما أو أقوى منه مثل: "ضِبَطْر" للرّجل الشّديد، من "ضَبَطَ" و"ضَبَرَ" وفي "ضَبَرَ" معنى الشّدة والصلابة.

د-النحت النّسبي: وهو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدلّ على الانتماء إليهما؛ مثال ذلك: قولك عن الرّجل "طبرخزي" نسبة إلى بلدتي " طبرستان" "خوارزم" وكقولك "عبْشَميّ" لمن ينتسب إلى عبد شمس من العرب.

على الرّغم من قلّة الشواهد المروية للنحت في كتب العربية إلّا ما ذهب إليه ابن فارس-وبعض ممن نحا نحوه تعسّفا-من أنّ كلّ أكثر الرباعي والخماسي منحوت، إلّا أنّنا اليوم في أمسّ الحاجة إليه للتعبير عن المستجدّات وخاصة المعرفية؛ من ذلك: سوسيولوجيا، وجيولوجيا، وبرمائي، فوق لساني، طوبوغرافي... وغيرها من الألفاظ حديثة النحت.